كلية : الآداب

قسم : اللغة العربية

المرحلة : الثالثة

استاذ المادة : وليد سامي خليل سبع

اسم المادة باللغة العربية : أدب العصور المتأخرة

اسم المادة باللغة الانكليزية: Literature of late times

اسم المحاضرة الاولى باللغة العربية : الحياة السياسية

اسم المحاضرة الاولى باللغة الانكليزية: Political life

الحياة السياسية:-

اطل القرن السابع للهجرة على العالم العربي,وهو فيحالة ضعف وفوضى واضطراب، وكان الخلفاء ألعوبة بيد الاعاجم الذين تصرفوا بالبلاد كما شاؤوا.

وازدادت حدة الفوضى والاضطراب في ايام الخليفة المستعصم بالله ، لأنه كان ضعيف الرأي منصرفا الى اللذة و اللهو و مسلما أمور دولته الى رجل يدعى ابن العلقمي الذي ولي الوزارة أربع عشرة سنة ،وتعاضد مع التتر لأسقاط دولة بني العباس ،ليستخلص الحكم لنفسه وأتباعه لكن خاب سعيه ومات دون ان ينال مبتغاه.

اما اهم العوامل التي شجعت هولاكو على الزحف نحو العراق هي:-

1-ضعف الخلافة. 2-تفرق الناس شيعا و احزابا.3-فقدان الأمن والطمأنينة.

وقبل وصول هولاكو الى بغداد حذره الناس الغيارى من هذا الزحف ان لم يباشر بأعداد جيش قوي واعداد الامور اللازمة لصد هذا الهجوم فضلا عن اصلاح الاوضاع الداخلية ولكن لم يلتفت المستعصم لهذه النداءات وترك الامر سائبا،وقد وصفه ابن الطقطقافي كتابه الفخري في الآداب السلطانيةوقال:(وكان المستعصم آخر الخلفاء شديد الكلف باللهو واللعب وسماع الاغاني،لايكاد مجلسه يخلو من ذلك ساعة واحدة وكان ندماؤه وحاشيته جميعهم منهمكين معه على التنعم باللذات ،لايراعون صلاحا،وفي بعض الامثال:(الحائن لايسمع صياحا) وكتبت له الرقاع من العوام انواع التحذير وألقيت فيها الاشعار، من ذلك:

قل للخليفة مـهلا اتاك مالا تحـــب

ها قد دهتك فنون من المصائب غرب

فانهض بعزم والا غشاك ويل وحـرب

كسر وهتك وأسر ضرب ونهب وسلب

وقدانطلقت السنة الشعراء لكشف المجتمع الفاسد والمصائب التي حلت به وكان اجرأ شاعر في هذا الميدان مجد الدين النشابي(ت657هـ)وقد نظم قصيدة مطلعها: ياسائلي ولمحض الحق يرتاد اصح فعندي نشدان وانشاد وتطرق هذا الشاعر في هذه القصيدة الى اضطراب الاوضاع وفسادها،واختلال الادارة،ونظام المصادرة،والتعدي على الناس،والقضاء على الحريات،ومحو

العدل والمساواة،وكذلك انتقد وبشدة الوزراء ورجال الخليفة المنشغلين بعبثهم وتهجم على

رجال الدين الذين تركوا ما اوصاهم به الله ،وفي آخر القصيدة تمنى الموت قبل رؤية المسلمين وهم واقعون في كارثة يشيب من هولها الولدان،فقال:

اين المنية كي تساورنـــــي فللمنية إصدار وإيـــــــراد

من قبل واقعة شنعاء مظلمة يشيب من هولها طفل وأكباد

لقد كانت القصائد التي حذر فيها الشعراء المسؤولين ورجال الحكم صيحة في واد ونفخة في رماد.

دخل هولاكو بغداد سنة(656هـ)وفتك بأهلها وشوه معالم الحضارة والمدينة المعمورة، وخضعت له كافة المدن العراقية خوفاً ورهبة منه،ولقد تسنم بعد هلاك الطاغية هولاكو اولاده زمام الامور وكان افضلهم شأناً في إدارة الدولة الامير(تكودار خان)وقد اسلم ويقال ان اسلامه سبب قتله، وتسمى باسم (احمد)وقد استمر حكم هذه الاسرة لغاية 738هـ وخير مايوصف عهدهم بقول احد الباحثين(فزمانهم زمان نزاع وتخاصم والملك لمن غلب،والحق للأقوى،والفوضى تهيمن على مرافق دولتهم من كل جانب وادارتهم مفككة يعوزها النظام واتحاد الكلمة،وقد تجلت كل مظاهر هذا الضعف والفساد فيحكومة العراق).

وقد اعتلى منصة الحكم الشيخ حسن الكبير الأيلخاني أمير بلاد الروم الا ان حكمه لم يدم طويلاً ،حيث استولى الجلائريونعلى البلاد سنة 740هـ حيث اعيد لبغداد في ظل هذه الاسرة رونقها فقامت العمائر وشيدت المدارس الكبيرة وكان اشهر امرائها مرجان ابن عبدالله الاولجاني الذي قام بإشادة مدرسة على غرار المدرسة النظامية الكبرى وبنى دار الشفاء لتكون معهداً ومستشفى،كما بنى كثيراً من الخانات والاسواق وبقيت هذه الدولة قائمة الى ان هجم عليها تيمورلنك سنة 795هـ الذي فتك بأهلها اشدالفتك واتلف تحفها وذخائرها ومعالمها ودورها ومكاتبها وجوامعها،ولقد لقي الناس من جنده الويلات والفقر والجوع والاوبئة،بعدها عادت الدولة الجلائرية الى الحكم مرة اخرى ولكنها سرعان ما انتهت وجاءت الدولة الصفوية سنة(914هـ)وكان اشهر قادتهم سليمان القانوني

الذي مكث في بغداد ستة اشهر حيث اصلح شؤونها وقام بحفر بعض القنوات المهمة في كربلاء واستمرت هذه الدولة لغاية 1334هـ.

اما في مصرلم يكن الحال بأحسن من العراق وذلك لان الاسرة الايوبية الحاكمة فقدت قوتها في ايامها الاخيرة وسقطت بيد المماليك سنة648هـ وامتد حكمهم الى الشام والحجاز،وكان من ابرز حكامها قطز الذي ساس البلاد خير سياسة واستطاع تحطيم التتر في الشام والانتصار عليهم في معركة(عين جالوت)اما الحاكم بيبرس البندقداريكان رجلاً حازماً،احسن الى الرعية وازال عنهم الكثير من الضرائب واشاد المدارس والمساجد وبعدها جاء سيف الدين قلاوون وبعده اعتلى منصة الحكم صلاح الدين خليل الذي لقب بالملك الاشرف وتولى بعده سدة الحكم محمد الملقب بالملك الناصر الذي انتهى حكمه سنة 741هـ ،وقد تعاقب على السلطة ملوك ضعفاء كان من بينهم المماليك البحرية وبعدهم جاء المماليك الشراكسة وكان اول ملك لهم الظاهر برقوق وتولى بعده ثلاثة وعشرون ملكاً وكان آخرهم الاشرف طومان باي الذي سقط حكمه امام الجيوش العثمانية سنة922هـ وشنق على باب زويلة وفيه قال ابن أياس :

نوحوا على مصر لأمر قد جرى ومصيبة عمت بليتها الورى

وقد اشار الى شنق طومان باي بقوله:

شنقوه ظلما فوق باب زويلـة ولقد اذاقوه الوبال الاكبـرا

يارب عفوا عن عظائم جرمه واجعل بجنات النعيم له قرى

اما المغرب العربي وشمال افريقيا فقد تنازع الحكم فيها الموحدون والمرينيون والحفصيون الى ان جاءها الحكم العثماني ثم الغربي من اسبان وبرتغاليين وفرنسيين.

الحالة الاجتماعية:-

لقد ساءت الاوضاع الاجتماعية في بغداد وذلك لان الغرباء استولوا على خيراته وبددوا ثرواته وتركوا السكان الاصليين يعيشون في بؤس وشقاء وكثر الدجالون الذين يسمون انفسهم بالشطار فقد عاثوا في الارض فساداً وابتزوا اموال الناس

ظلماً وعدواناً،وكثر في المجتمع الغش وفساد الضمائر وكذلك سوء الحالة الصحية وتفشي الامراض وهجوم الطاعون.

اما الاسرة فكانت متفككة ولم تكن افضل من غيرها،فقد تفكك عراها وانحط شأن المرأة وهبط مستوى اولادها وصار الرجل يقسو في معاملتها ويمنعها من الخروج ويسدل عليها ستار الجهل ويشدد عليها الحجاب والانزواء عن مجالس العلم وحلقات الادب.

أما في مصر والشام فكانت الحياة الاجتماعية احسن بكثير وذلك لان المماليك حموا الديار التي سيطروا عليها من المغول والصليبيين،وبلغ الترف في ايامهم حداً بعيداً فقد تفنن الناس في مأكلهم وملبسهم و روى بعض المؤرخين واصفاً حالتهم الاجتماعية بقوله- ان الاسياد قد رصعوا آنية شرابهم وطعامهم بالذهب و رصعوا عصائب شعور نسائهم وثيابهن و خفافهن بالجواهر واللآلئو اتخذوا في مجالس لهوهم آنية وتماثيل و دمى من الذهب المرصع ولبسوا الثياب المزخرفة وافترشوا الدمسق والحرير والديباج واستعملوا آلات الشطرنج والنرد المصنوعة من الذهب والفضة والابنوس والعاج،وقد شاع تناول الحشيش،وفعل الموبقات حتى اضطر الملك بيبرس سنة1665 الى اصدار مراسيم بأبطال تدخين الحشيش وشرب الخمور ومعاقبة المقبلين عليها كما أمر عماله بمراقبة الموازين و المكاييل.

وقد ظهر التبغ في مصر سنة 1012هـ وذكر الاسحاقي في تاريخيه بقوله:

(ان الدخان مضر بالأبدان،وهو يابس الطباع ،الذي لاشيء فيه من الانتفاع المسود

للأسنان،المهرب لملائكة الرحمن....) وهناك من اثنى عليه مثل قول ابي المواهب

البكري ت1037هـ

ودع ملام طبيب عابها سفهاً و داوني بالتي كانت هي الداء

اما الجزيرة العربيةفكانت بعيدة عن الاصلاح،لذا اضطربت احوالها وامتدت الفوضى اليها وبخاصة في الحجاز،فإن اهلها اخذوايقاسون الويلات والمعيشة الضنكة،ومن حوادث السلب والنهب ولاقت قوافل الحجاج وزوار الحرمين اموراً مقلقة.

الحياة الثقافية:-

لقد كانت الحركة الفكرية في العراق قوية ونشيطة أواخر الدولة العباسية ،فلما نكبت بغداد بالتتر واجتاحت جيوشهم بغداد اصاب الناس بلاء كبير من تقتيل وتشريد ونهب واحراق وقد ذهب ضحية هذا الغزوالكثير من العلماء امثال الصرصري وابن الجوزي والزنجاني وغيرهم،ولم يبق هولاكو الابعض العلماء الذين يجيدون لغته او يتقنون علوم الفلسفة والرياضيات واخذهم الى عاصمة ملكه،اما المدارس ودورالعلم والمكتبات اصابها خراب كبير واصبحت لا تتجاوزاصابع اليد بعدما كانت تتجاوز المئات ومن المدارس التي لم يصبها تلف كبير المدرسة النظامية الكبرى، والمستنصرية والبشرية.

اما اشهر علماء هذه الحقبة ابن الفوطي مؤرخ العراق الكبير وابن ابي الحديد شارح نهج البلاغة، والامام الصاغاني،وابن الساعي خازن دار كتب المستنصرية

اما في مصر والشام فإن المماليك ساروا على النهج الذي اختطه الايوبيون فأكثروا

المدارس وقد اشار المقريزي في خططه(ان المدارس في الشام ومصر بلغت نحواً من سبعين مدرسة ومعهداً للتدريس ويقال ان مثل ذلك العدد كان في الاصقاع والولايات التابعة لهم.

اما اللغة العربية وعلومها فكانت مزدهرة لان المماليك كانوا يتعلمونها ويعلمونها اولادهم ويشجعون على اتقانها والبراعة فيها وفي آدابها وعلومها(والفت كثير

من الكتب برسم كثير من السلاطين،وان مابين ايدينا من الكتب ماهي الا ثمرة هذا العهد الميمون الذي لم تنقرض كتبه لما تعرضت له كتب الشرقوالغرب من حرق واتلاف).

ولما جاء العثمانيون واحتلوا العراق والشام ومصروالحجازهبط المستوى الثقافي واقتصر على فئة قليلة من الناس وتدنت اساليب التدريس وطرائق الكتابة.

اما ديا والمغرب العربي فإن الثقافة بقيت مزدهرة فيها،وكان لعلمائها الدور الكبير في نقل الحضارة العربية الى أوربا، وقد ازدادت مكانة المعارف فيها بعد نزوح العلماء والادباء والفنانين والبنائين من الاندلس اليها،ثم خبت جذورها بعد مجيء العثمانيين فالاحتلال الاوربي.